١٤ ــ معركة الحجاب في فرنسا

● الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

في الأسبوع الماضي سافرت إلى فرنسا.. إلى باريس، لأحضر وأشارك في حوار بين المسلمين والفرنسيين، أو بين مجموعة من الإسلاميينّ ومجموعة من المستشرقين معظمهم من الفرنسيين[١].

الحوار فريضة إسلاميّة:

ونحن نرحب بالحوار.. بالحوار مع المخالفين، أيّاً كان هؤلاء المخالفون، وخصوصاً أهل الكتاب منهم، فنحن تجمعنا معهم عدّة روابط: أنّهم يؤمنون بالله في الجملة، ويؤمنون بالنبوّات ورسالات السماء، ويؤمنون بالآخرة، ويؤمنون بوجوب عبادة الله، ويؤمنون بالقيم الروحيّة، والأخلاقيّة، فهناك قواسم مشتركة تجمع بيننا وبينهم.

ونحن المسلمين مطالبون بأن ندعو إلى ديننا، وأن نحاور الآخرين بالتي هي أحسن كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ..﴾ [النحل: ١٢٥]، فالحوار مع الآخر فريضة إسلامية، دعا إليها القرآن الكريم.

---

(١) كان ذلك في أكتوبر ١٩٩٤م، وكان لمشاركة الشيخ القرضاوي في هذا الحوار أثر إيجابيّ بارز، فقط استطاع ـ بحمد الله ـ أن يقنع الحاضرين بمفاهيم الإسلام الراقية في العديد من الجوانب.

حوار بالتي هي أحسن:

والقرآن هنا يطالب أن يكون الجدال والحوار بأحسن الأساليب، وأرق الوسائل وألطفها، فإذا كانت هناك وسيلتان أو طريقتان للحوار، إحداهما حسنة والأخرى أحسن منها، فنحن المسلمين مأمورون أن نتبع التي هي أحسن.

في الموعظة اكتفى القرآن بأن تكون موعظة حسنة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾، ولكنه في الجدال والحوار لم يكتف إلاّ بالتي هي أحسن: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، لماذا؟ لأن الموعظة تكون مع الموافقين، والحوار والجدال يكون مع المخالفين، ويكفي الموافق أن تعظه موعظة حسنة، ولكن المخالف لا بدّ أن تسلك إليه أحسن السبل، حتى تصل إلى قلبه، وتدخل إلى عقله، وتحاول إقناعه واستمالته إلى صفّك، وإلى صراطك المستقيم.

نماذج قرآنيّة من أساليب الحوار:

ومن هنا نجد القرآن الكريم يقول ـ في حوار المشركين ـ على لسان النبي ﷺ: ﴿ . . وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]، أحد الفريقين لا بدّ أن يكون على هدى والآخر في ضلال مبين، وهو متأكّد ومستيقن أنّه على الهدى وأنّهم على الضلال، ولكنه حين يجادل الآخرين لا يقول لهم مباشرة: أنتم على الضلال، إنّما يخاطبهم بهذه الصيغة: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

ويقول في هذا السياق: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥﴾ [سبأ: ٢٥]، كان مقتضى المقابلة في السياق أن يقول: قل لا تُسألون عمّا أجرمنا ولا نُسأل عمّا تجرمون، ولكنّ القرآن لم يشأ أن يصفهم بالإجرام، يريد أن يصل إلى قلوبهم فلم ينسب إليهم الإجرام، قال عن المسلمين: لا تُسألون عمّا أجرمنا، ولكنه لم يقل: ولا نُسأل عمّا تجرمون، وإنّما قال: ﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾.

حوار أهل الكتاب:

القرآن يأمر بحوار أهل الكتاب بالتي هي أحسن: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦]. أي اذكروا عند الجدال بالتي هي أحسن نقاط الاتفاق.. المواضع التي تتفقون فيها بعضكم مع بعض، ولا تذكروا نقاط التباين والتمايز والاختلاف، ليقترب بعضكم من بعض: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

على هذا الأساس رحبّتُ بالحوار مع غير المسلمين، ومع هؤلاء النصارى والمستشرقين.

وفي كتبي دعوتُ إلى الحوار مع كلّ المخالفين: المخالفين في الدين، والمخالفين في الفكر، والمخالفين في السياسة، لسنا مُغلقين، نحن منفتحون على غيرنا، وليس عندنا ما نخافه أو نخاف عليه أحداً.

ذهبت إلى باريس، وبدأنا الحوار، ولكن كان هناك موضوع حيّ وساخن، فرض نفسه على ساحة الحوار، وأخذ منّا معظم الوقت، ولا بدّ أن أشرككم في هذا الأمر.

الحجاب على رأس موضوعات الحوار:

كان هذا الموضوع الحار الساخن هو موضوع (الحجاب).. حجاب الطالبات في مدارس فرنسا، هذا الموضوع الذي تتحدث عنه فرنسا كلّها. ويتابعه الإعلام: مرئية ومسموعه ومقروؤه.

هؤلاء التلميذات.. الطالبات اللآئي يردن أن يلتزمن بتعاليم دينهنّ، وأحكام شرعهنّ، وفرض ربّهنّ، في غطاء الرأس[1].

---

(١) كلمة (الحجاب) أصبحت تستعمل الآن هذا الاستعمال، وإن كان استعمالها اللّغوي غير ذلك.

الحجاب مفروض في محكم القرآن:

يُراد بالحجاب: الخمار.. تغطية الرأس، وهذا أمر فرضه الله تبارك وتعالى في محكم القرآن، حيث يقول عز وجل في سورة (النور): ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [وما ظهر منها على ما رأى ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين: الوجه والكفّان، أو الكحل والخاتم، فما عدا ذلك ينبغي أن يُستر ويُغطّى]، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ..﴾ [النور: ٣١].

الخمار هو غطاء الرأس، فلا بدّ للمسلمة أن تغطي بخمارها على جيبها، أي: على فتحة الصدر.. وفتحة الجيب.. القميص، فقد كان نساء الجاهلية يبدين هذا النّحر وهذا الصدر لتظهر فيه القلائد والزينة وغير ذلك.

فجاء الإسلام يأمر بضرب الخمار على الجيوب: ﴿.. وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ..﴾ [النور: ٣١] الخ، وذلك في الزينة الباطنة، ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، جاء هذا في سورة (النور).

وجاء في سورة (الأحزاب): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب: ٥٩]، لتعرف المسلمة الجادّة من اللّعوب العابثة، لتعرف المسلمة العفيفة المحصنة من تلك التي تحاول إغراء الرجال ولفت الأنظار والانتباه إليها.

هذا أمر الله تبارك وتعالى في كتابه للمؤمنات، فلا عجب أن تلتزم أولئكم الطالبات المسلمات المؤمنات في فرنسا بهذا الأمر، وأن يذهبن إلى المدارس بهذا الخمار أو بهذا الحجاب.

موقف المتعصبين من مديري المدارس في فرنسا:

ولكن ـ للأسف ـ جُنّ جنون هؤلاء من مديري مدارس البنات المتعصبين، وقامت قيامتهم ولم تقعد، وحاولوا منع هؤلاء الطالبات المسلمات، وأرادوا أن يفرضوا عليهنّ أن يتخلّين عن الحجاب، ولماذا؟ قالوا: لأنّ الحجاب رمز دينيّ، ونحن لا نسمح بالرموز الدينيّة، ولا نريد هذه الرموز الدينيّة المعبّرة عن شخصيّات دينيّة مختلفة!!.

هل الحجاب رمز دينيّ كالصليب؟:

قلت لهم: هذا ليس بصحيح، الحجاب ليس رمزاً دينياً، الرمز ما ليس له وظيفة إلاّ أنّه شعار وإعلان مثل: الصليب على صدر النصرانيّ، ونجمة داود السداسية على صدر اليهوديّ، والطاقية المعروفة على رأس اليهودي، هذه هي الرموز الدينيّة لأنّه لا وظيفة لها إلاّ الإعلان.

ولكن هذا الحجاب له وظيفة، وهو وظيفة الستر والحشمة، وهذا أمر من الله للمسلمة، فكيف تفرضون على المسلمة أن تتخلّى عن فرض من فروض دينها؟ أين الحرّيّة الشخصية؟ وأين حرّيّة التدّيّن التي توفّرها دساتيركم، والتي يحميها ميثاق حقوق الإنسان، وتحميها مواثيق الأمم المتحدة؟؟!.

أنتم بلاد الثورة التي نادت بالحرية كما تزعمون، وتقولون عن فرنسا: أمّ الحرّيّات! أين هي الحرّيّة إذا لم يكن للمسلمة الحق في حرّيّتها الشخصية: أن تلبس ما تشاء؟ وحرّيّتها الدينيّة أن تلبس ما يطلبه منها دينها كما أنّ هناك من النساء ومن البنات من يلبسن القصير والمينى والميكرو ومثل هذه الأشياء، ولا تعترضون عليهنّ، لماذا تعترضون على الفتاة المسلمة؟!.

أين حرّيّة التدّين إذا لم تمارس المسلمة حقّها؟! وهو واجب عليها في دينها، وليس مجرّد حقّ لها.

التسامح الإِسلامي بلغ القِمة:

ألا ترتقون إلى المستوى الذي ارتقى إليه الإِسلام؟.

الإِسلام بلغ الغاية، وبلغ الذروة في التسامح مع المخالفين.

هناك درجة دنيا في التسامح: أن تتسامح مع الإنسان المخالف لك فيما يوجبه دينه عليه، لا تفرض عليه أمراً يحرّمه دينه، ولا تلزمه بأمر يتخلّى به عن واجب من واجبات دينه، هذه هي الدرجة الأولى في التسامح.

ولكن هناك درجة أرقى وأعلى، وهي: أن تتسامح مع مخالفك فيما هو مباح له في دينه، وليس واجباً، وليس فرضاً.

وهذا ما صنعه المسلمون في أمور مباحة أو يعتقد أهل الكتاب من النصارى أنها مباحة في دينهم، مع أنّ الإِسلام يحرّمها أشدّ التحريم، وذلك مثل أكل الخنزير وشرب الخمر، فقد أجاز المسلمون جميعاً لأهل الكتاب أن يأكلوا الخنزير، وأجاز جمهورهم أن يشربوا الخمر، ما داموا لا يروّجون هذه الأشياء بين المسلمين، والكلمة المأثورة عن الصحابة في ذلك: اتركوهم وما يدينون.

شيء مباح لا يوجبه الدين عليهم ـ فلم يوجب الدين على المسيحي أن يأكل الخنزير ولا أن يشرب الخمر ولكن أباح له ذلك[1] ، وهو محرّم في الإِسلام، ومع هذا تسامح في هذا وقالوا: لا نضيقّ عليهم في أمر أباحه لهم دينهم. فكيف تريدون أنتم من المسلمين أن يتخلّوا عن فرض ربّانيّ، وواجب شرعي، وحكم ديني من أحكام الإِسلام؟! أين التسامح الذي تدّعون؟!.

أين أنتم من الحضارة الإِسلاميّة؟:

لماذا لا تقلّدون الحضارة الإِسلاميّة؟ تلك الحضارة التي وسعت الأديان،

---

(١) بل إنّ بعض النصارى ينازع في إباحة شرب الخمر في دينهم، ولهم في ذلك وجهة نظر يدلّلون على صحّتها.

ووسعت الثقافات، وشاركت فيها عناصر شتّى، منهم يهود، ومنهم نصارى، ومنهم سريان، ومنهم عروق وأديان مختلفة، ولم تفرض على غير المسلمين ولا على غير المسلمات ما لا يفرض عليهم دينهم.

كان غير المسلمات يعشن في المجتمع الإسلامي حاسرات الرؤوس، لم يفرض عليهنّ الإسلام أن يغطّين رؤوسهنّ لماذا لا تفعلون مثلما فعلت الحضارة الإسلاميّة؟ لماذا لا تقبلون التنوع والتعدّد، والتنوّع إثراء للحضارة، وهذا أمر مطلوب؟.

كيف تلزمون المسلمة بضدّ ما ألزمها الله تعالى به؟!.

أين الحريّة؟.

أين الحقوق؟.

أين الحرمات؟.

أين كرامة الأفراد؟.

بلاد المسلمين التي تمنع الحجاب:

هذا ما قلناه للقوم، وحاولوا أن يتملّصوا من هذا الأمر، وقال بعضهم فيما قال: إنّ الحجاب ليس واجباً دينيّاً، وليس فرضاً شرعياً، بدليل أنّ هناك بلاداً إسلاميّة تمنع الحجاب! وضربوا مثلاً لذلك بـ (تركيا) و(تونس).

فقلت لهم: إنّ هذه ليست بلاداً إسلاميّة، هذه بلاد علمانيّة، العلمانية هي الحاكمة فيها، والمسلمون لم يسلّموا في تركيا إلاّ بعد أن ضحّوا بالآلاف ومئات الآلاف، وقاوموا هذه العلمانيّة التي فُرضت على المجتمع، علمانيّة التشريع، وعلمانيّة التعليم، وعلمانيّة الثقافة، وعلمانيّة الإعلام، وعلمانيّة التقاليد، كلّها فرضت بالحديد والنار.

(خلع الحجاب) فرضه أتاتورك وحزبه فرضاً، وأصبح مفروضاً على المسلمة

لعقود من السنين تحت نير العلمانيّة المتجبّرة: ألاّ تتحجب، ولكن هذا ليس من الإسلام في شيء.

وتونس، تبيح الزنى وتحرم تعدد الزوجات، وتعتبر الحجاب جريمة، لا تجيز للمسلمة دخول المدرسة أو الجامعة أو تولي أيّ وظيفة حكوميّة، بل تمنع المحجبة من العلاج في أيّ مستشفى حكومي، حتى الحامل لا تدخل مستشفى الولادة إلاّ بعد أن تُجبر على خلع الحجاب!.

هذه البلاد التي تمنع الحجاب تخالف أمر الله، وتحادُّ الله ورسوله، جهاراً نهاراً، عياناً بياناً، صراحة لا شكّ في ذلك، ولم يعرف هذا قبل عصر العلمانيّة في زمننا.

البلاد الإسلاميّة أنواع:

هناك بلاد تلزم الطالبة المسلمة بالحجاب، وذلك مثل السعوديّة، ومثل قطر في مدارسها، ومثل السودان، ومثل إيران.

وهناك بلاد تدع هذا الأمر حرّيّة شخصيّة، من أرادت أن تتحجّب فلتتحجب كما في مصر، وعندما أراد وزير التعليم في مصر أن يصدر قراراً فيه مساس بهذه الحرّيّة، هاج الناس وثارت الدنيا، وقامت ولم تقعد، حتى اضطرّ الوزير أن يتنازل عن قراره ويقول: لا تمنع محجّبة من الدخول إلى مدرسة، وهذا هو معنى العلمانيّة.

وهذا ما قلناه لهم: إن العلمانيّة هي التي تدع الناس أحراراً في مسائل الدين.

والنوع الثالث من البلاد الإسلاميّة هو الذي يحارب الحجاب، وأنا أقول: بلاد إسلاميّة، أي أنّ شعوبها إسلاميّة وإن لم تكن أنظمتها إسلاميّة.

هذه البلاد هي التي تمنع الحجاب وتعتبره جريمة، ولا تسمح للطالبة في

المدرسة أو في الجامعة أو في أيّ وظيفة من وظائف الحكومة أن ترتدي الحجاب وتلبس الخمار!.

يُسمح للمتبرّجة أن تلبس ما تشاء، يُسمح للكاسيات العاريات المائلات المميلات أن يدخلن المدارس والجامعات، وأن يوظّفن في سائر وظائف الدولة، إلاّ المسلمة الملتزمة بالحجاب!.

بل يوجبون على المرأة إذا أرادت أن تدخل مستشفى للعلاج أو للولادة، أن تخلع الحجاب قبل أن تعمل العملية الجراحيّة أو نحو ذلك!.

الأصل في العلمانيّة الحياد مع الدين:

وهذا عجب، فالأصل في العلمانيّة أنها تقف موقفاً محايداً من الدين. هذه هي العلمانيّة الليبراليّة كما يسمّونها، لا تؤيّد الدين ولا ترفضه، لا توالِيه ولا تعاديه، تدع الناس أحراراً، هي لا تدرّس لهم الدين ولا تعلّمهم الدين، ولا تقف من الدين موقفاً إيجابياً، لا موقف التأييد ولا موقف الرفض.

العلمانيّة المعادية للدين:

هناك علمانيّة أخرى: العلمانيّة الماركسيّة الشيوعيّة، هي التي تقف موقفاً مضاداً من الدين، مناقضاً للدين، معادياً للدين، لأنّ الدين في نظرها أفيون الشعوب ومخدّر الجماهير، والأصل أنها ضد الدين.

ولكن أنتم دعاة العلمانيّة الليبرالية لماذا تعادون الدين وتعادون أحكامه الملزمة في الشؤون الشخصيّة؟! دعوا الناس أحراراً في حياتهم الشخصيّة، ولا تتدخّلوا فيها رغم أنوفهم.

هذه المسلمة التي اختارت الحجاب طوعاً وبإرادتها، لماذا تُقسر قسراً، وتُقهر قهراً، على أن تخلع حجابها؟! ليس هذا من العلمانيّة التي نعرفها عندكم يا آل فرنسا.

هل الحجاب أمر جديد على الحياة الإسلاميّة؟:

قالوا أيضاً: هذا الحجاب أمر جديد على المسلمات، جاء به الأصوليّون المسلمون! وخلال السنوات وعشرات السنوات الماضية، لم يكن هناك هذا الحجاب، وكانت المسلمة كغيرها من النساء، تخرج متبرّجة لابسة الملابس الإفرنجيّة وملابس الحضارة الحديثة، لا تُميز مسلمة من غير المسلمة.

قلت لهم: هذا صحيح، ولكن هذا كان بتأثير الاستعمار العربي على الحياة الإسلاميّة.

ظلّت المسلمة ثلاثة عشر قرناً، لم يعرف خلال هذه القرون أنّ مسلمة واحدة خلعت غطاء رأسها، هذا ما لم يحدث طوال التاريخ.

بل كانت المرأة المسلمة لو حدث منها حركة اضطراريّة سقط بها حجابها أو طار منها، تعتبر نفسها كأنّها عارية، وتحاول أن تغطي رأسها بأيّ شيء.

هذا ما كان عليه المسلمات خلال القرون، حتى دخل الاستعمار الغربيّ بلاد المسلمين، وبدأ يغيّر الشخصيّة الإسلاميّة، ويغيّر معالم الأمّة ومعالم هويتّها، ويفرض سلوكه بمؤثّرات شتّى، فبدأ تقليد الخواجات والأجانب، الطبقة العليا من القوم بدأن يقلّدن نساء الخواجات، ثم الطبقة التي بعدهنّ ثمّ التي بعدهنّ، حتى أصبح هذا في وقت من الأوقات أمراً شائعاً.

كنّا في وقت من الأوقات.. في الستينات من هذا القرن، يمرّ الإنسان في العواصم الكبرى في البلاد العربيّة والإسلاميّة، فلا يكاد يجد امرأة محجبّة، تجدها عجوزاً أكل الدهر عليها وشرب، ومع هذا تلبس ما يسمّى: (الجبونيز) أو (الميني) أو (المكرو) أو هذه الأشياء، هذا بتأثير الاستعمار، وبتأثير سلطان الحضارة الغربيّة المادّية الإباحيّة.

عودة المسلمات إلى الحجاب حركة نسائيّة تحرريّة:

الآن بعد الصحوة الإسلاميّة المعاصرة، بعد أن امتدّ هذا البعث الإسلامي

شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، بعد أن اكتشف المسلمون واكتشفت المسلمات ذواتهم وذواتهن، وعرفوا من هم، بدأت المسلمة تعود إلى رشدها، وترجع إلى ربها، وتلتزم الحجاب طواعية، هي حركة نسائية إسلاميّة طوعيّة اختياريّة إراديّة تحرريّة، فكثيراً ما التزمت الفتيات هذا الأمر برغم آبائهن وبرغم أزواجهنّ.

أجل هي حركة تحرريّة، استردّت المسلمة شخصيتها الحقيقيّة، واستعادت الثقة بنفسها، وتمرّدت على التقليد الأعمى للحضارة الغربيّة، والمرأة الغربيّة.

كانت المسلمة قبل ذلك تقلّد المرأة الغربيّة، وتمشي وراءها، وتتبّع سننها، شبراً بشبر، ، وذراعاً بذراع، كما ذكر لنا أن النبي ﷺ: «حتى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم»[1] أي أصبح جحر الضبّ (مُودة) ينبغي أن يسلكها الجميع، وتظهر (مودة) اسمها: مودة جحر الضب!.

ولكن المسلمين خرجوا من جُحر الضب، خرجوا من قوقعة التقليد إلى باحة الحرّيّة، تحرّروا من الاتّباع، وبدأت المسلمة تعود إلى دينها.

دعوى أنّ مفكّرين مسلمين أنكروا الحجاب:

وقال هؤلاء فيما قالوا: إنّ هناك من مفكّري المسلمين وعلمائهم من يقول: إنّ الحجاب ليس من الإسلام!!.

قلت لهم: من هؤلاء الذين يزعمون أنّهم مفكّرون؟ هناك قوم دخلاء على

---

(١) ونصّه كاملاً: «لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!» متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري (شرح السنة للبغوي: ١٤/ ٣٩٢ برقم ٤١٩٦)، وروى الحاكم عن ابن عباس: «لتركبنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أنّ أحدهم دخل جحر ضبّ دخلتم، وحتى لو أنّ أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه» ورمز له السيوطيّ بالصّحّة (الجامع الصغير: ٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، قال العلاّمة ا لمناوي: رواه الحاكم في الإيمان عن ابن عباس وقال: على شرط مسلم، وأقرّه الذهبي، ورواه عنه أيضاً البزّار، قال الهيثمي: ورجاله ثقات (فيض القدير: ٥/(٢٦١ ـ ٢٦٢ برقم ٧٢٢٤).

العالم الإسلامي، يُراد تلميعهم، ويراد إعطاؤهم ألقاباً جديدة: المفكّر الإسلامي - العالم الإسلامي، وهو لا يفقه من الإسلام شيئاً، ما درس القرآن ولا درس السّنّة، ولا درس الأصول، ولا درس العربيّة، ولا غاص في بطون الكتب الإسلاميّة، ومع هذا يُدّعى له لأنه مفكّر، ويأتي أحدهم ليقول: إنّ هذا كان في أيّام البعثة، أراد القرآن أن يُعالج وضعاً معيّناً، وقد زال هذا الوضع!!.

كأنّ القرآن إنما أنزل لبضع سنوات، ثم يجب أن يشطب وينسخ ولا يعمل به بعد ذلك، هذا القرآن.. كتاب الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب محفوظ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، يخاطب الأمّة في عصر النبوّة، وفي عصر الصّحابة، وفي سائر العصور، وإلى أن تقوم الساعة.

والأمّة ملزمة بأحكام ربها، لا يغنيها عن ذلك شيء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1] [الأحزاب: ٣٦]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ولقد وجدنا من هؤلاء العصريين من ينكر تحريم الخمر، وهي من قطعيّات الدين، وممّا علم منه بالضرورة، ومن ينكر تحريم الربا، وهو ممّا أجمعت عليه الأمّة بكلّ مذاهبها وطوائفها.

فليقل هؤلاء الشاردون المحرّفون ما شاؤوا، فالقرآن والسّنّة وإجماع الأمّة طوال قرونها حجّة عليهم، ولا تجمع هذه الأمّة على ضلالة.

الحكّام الذين أنكروا وجوب الحجاب:

وقالوا فيما قالوا: إنّ هناك من حكّام المسلمين من قال: إنّ الحجاب ليس بواجب!!.

---

(١) وتتمّتها: ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾.

قلنا لهم: حكّام المسلمين هؤلاء ليسوا حجّة على الإسلام، بل الإسلام حجّة على الحكّام وعلى المحكومين، الإسلام هو القرآن والسّنّة، الإسلام هو إجماع الأمّة وخاصّة في خير قرونها، أمّا هؤلاء المبتدعون، المتنكّرون للشريعة، المقلّدون للخواجات، فلا عبرة بهم ولا وزن لهم.

ما قيمة حاكم يقول: الحجاب هو أمر يتبع التقاليد، يتبع العرف، وأنا بناتي يسبحن في الحمّامات مع الرجال، ويلعبن الرياضة في المتنزّهات، وفي الأندية أمام أعين الرجال؟! ما قيمة هذا الحاكم؟ مهما يكن أمره فإنّ الإسلام حجّة عليه، الإسلام يعلو ولا يُعلى.

لهذا سقطت كلّ تلك الشبهات التي أثارها هؤلاء وبقي الحجاب فرضاً دينياً، وواجباً شرعياً، يجب أن تُمكّن منه المسلمة.

موقف مخجل للمسؤولين المسلمين:

ومن المؤسف أنّ أحداً من المسؤولين في بلاد الإسلام، لم يُثر هذا الأمر مع هؤلاء، لم تحتج دولة إسلامية، لم يُثر هذا الموضوع، حتى إنّ وزير الخارجية الفرنسي زار عدداً من البلدان العربيّة ولم أر صحفياً أحرجه وسأله: ما هذه الضجّة التي تقيمونها على حجاب الطالبات المسلمات في فرنسا؟.

لم نر أحداً اهتمّ بهذا الأمر، كأنّ المسلمين أصبحوا جماعة مفككة، لا يهتمّ بعضهم بأمر بعض، و«من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح، ويمسي ناصحاً لله، ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه، ولعامّة المسلمين، فليس منهم»[1].

---

(١) رواه الطبراني عن حذيفة بن اليمان، من رواية عبد الله بن أبي جعفر الرازي وهو مختلف فيه، فقد ضعّفه بعضهم ووثّقه آخرون، ويشهد للحديث أحاديث أخرى (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢/ ٥١٤ برقم ٩٩٧).

إنّها عقدة من رواسب الحروب الصليبيّة:

قلنا لهؤلاء: هب أنّ هذا رمز كما تدّعون ـ وهو ليس برمز وإنّما له وظيفة ووظيفته السّتر والحشمة ـ أتمنعون من يضع الصليب على صدره؟ أتمنعون اليهوديّ الذي يضع الطاقية على رأسه؟ أتمنعون السيخيَّ الذي يلبس عمامته ولا يخلعها؟ حتى أنّهم عندما يصرّحون لمن يركبون الدراجات الناريّة يلزمونه أن يكون معه خوذة وهذا السّيخيّ لا يمكن أن تدخل الخوذة مع العمامة في رأسه، ومع هذا يسمحون له، لأن هذا أمر من أمور دينه، لماذا تتسامحون مع كلّ أهل الأديان إلاّ المسلمين إذن؟!.

قلنا لهم: الأمر إذن فيه شيء، إذا سمحتم لنا أن نقول بصراحة وحريّة: هذا راسب من رواسب الحروب الصليبيّة، هي عقدة قديمة مع الإسلام والمسلمين يجب أن تتحرروا منها.

لا ينبغي ـ إذا كنّا نريد أن نتحاور بحقّ ـ أن نتحاور ونفوسنا مليئة بالعقد، يجب أن نحلّ هذه العقد وأن نتعامل معاً ونتحاور معاً ندّاً لندٍّ.

نحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس، دعونا من الحروب الصليبيّة وما حدث فيها، ولنبدأ صفحة جديدة.

أمّا إذا أصررتم على أن تعاملوا المسلمين بهذه الروح، فلم يُفلح حوار، ولم يفلح لقاء.

لماذا الخوف من الإسلام؟:

لما تخافون الإسلام؟ ما هذه المقولات التي تظهر ما بين الحين والحين تحمل التخويف من الإسلام.. التخويف ممّا سمّوه: الخطر الأخضر؟.

لقد زال الخطر الأحمر بزوال الاتحاد السوفيتي.. دولة الشرّ كما سمّاها (ريجن)، وزال الخطر الأصفر الصيني بتقارب الصين مع الغرب، قالوا: وبقي خطر واحد، هو المخوف وهو المرعب وهو المهدِّد، وهو خطر الإسلام!.

وعلى هذا وقفوا جميعاً مع الصرب ضد المسلمين في البوسنة والهرسك، وقف معهم الكاثوليك الفرنسيّون، ووقف معهم البروتستانت البريطانيون، ووقف معهم الأرثوذكس الروس واليونان، وقفوا جميعاً لتأييد هؤلاء الذين يقولون عن أنفسهم: نحن فرسان الصليب، نحن ندفع عن أوروبّا خطر الإسلام الزاحف إليها، نحن نقدّم خدمة للغرب كلّه فيجب أن يساعدنا الغرب.

وقد ساعدهم الغرب بالفعل.

هذا هو للأسف ما يجري.

إن الإسلام يفتح ذراعه للجميع، وهو ليس خطراً إلاّ على المادّيّة والإلحاد، وعلى الإباحيّة والفساد.

ليس الإسلام خطراً، ولكنه رحمة الله للعالمين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولن ينقذ البشريّة المعذّبة.. الحائرة.. القلقة ذلك القلق المَرَضِيّ، لم ينقذها مما تعاني من أزمات وويلات، إلاّ هذا الإسلام، يوم يحمله مسلمون.. صادقون.. واعون.. صدقوا الله ما عاهدوه عليه: ﴿.. فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[1] [الأحزاب: ٢٣].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم المسلمين خيراً من أمسهم، وأن يجعل غدهم خيراً من يومهم، وأن يغفر لنا ما مضى، ويصلح لنا ما بقي، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا ـ أيّها الإخوة والأخوات ـ وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) وأوّلها: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

● الخطبة الثانية:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

جنون إسرائيل بعد الضربات الفدائيّة:

جُنّ جنون إسرائيل، بعد أن ضُربت تلك الضربات الفدائيّة القويّة في عُقر دارها.. في تل أبيب، وفي القدس التي تحكمها، ضربات الشباب الذين باعوا أنفسهم لله، وضحّوا بها رخيصة ليؤدّبوا إسرائيل.

وهي الآن تحاول الانتقام.

دمّرت بيت الشاب الفدائيّ المؤمن الذي ضحّى بنفسه لله عزّ وجل، وتريد الآن أن تحاصر وتعلن الحرب، سرّيّة وعلنيّة، واتخذت من الخطوات ما تريد به القضاء على الحركة الإسلاميّة.. حركة المقاومة الإسلاميّة (حماس).

تريد إسرائيل أن تحتلّ الأرض، وتنتهك العرض، وتشرّد الأهل، ولا يقف أحد ضدّها.

ماذا أخذ الفلسطينيون منها إلى الآن؟ كلاماً ووعوداً، ولم يحصلوا منها على شيء ذي بال للأسف.

ولهذا لا بدّ أن تظلّ المقاومة حيّة وقائمة، لا بدّ أن يظلّ الجهاد، ولا يمكن أن تُستردّ الحقوق إلاّ بالجهاد.

فلسطين كلّها أرض إسلاميّة، واغتصاب اليهود لها لا يعطيهم الحق ولا المشروعيّة في البقاء فيها، هم أخذوها بالقوّة فيجب أن يُطردوا منها بالقوّة.

قد يفعل الساسة ما يفعلون، ويرضخون لما يرضخون، ولكن أحكام الشرع باقية.

أرض الإسلام يجب أن تظلّ أرضاً للإسلام.

أرض الإسراء والمعراج، أرض النبوّات، والأرض التي بارك الله فيها

للعالمين، ووصفها القرآن بالبركة في ستة مواضع، هذه الأرض يجب أن تظلّ إسلاميّة.

قالوا: الأرض مقابل السلام!.

أيّ أرض وأيّ سلام؟!.

أرضنا مقابل سلامهم! يجب أن نسلّمهم أرضنا، أو نسمح لهم بالبقاء في أرضنا، أو نسمح لهم بمشروعيّة امتلاك أرضنا، في مقابل أن يعيشوا في سلام!.

أيّ صفقة هذه؟!.

ومع هذا فما سلّموا الأرض إلى اليوم، يريدون سلاماً بلا مقابل.

ولهذا ينبغي أن يظلّ الجهاد، وأن تظلّ المقاومة.

وما دام هناك شباب باعوا أنفسهم لله، ووضعوا رؤوسهم على أكفّهم، وأرواحهم في أيديهم، وقالوا: يا رياح الجنّة هبّي، ويا خيل الله اركبي. ما دام هذا الشباب المؤمن الذي لا يُبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، هؤلاء الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة، وقد باعوا وأرادوا أن يسلّموا حتى يستحقّوا الثمن، ما دام هؤلاء الشباب باقين ماضين في طريقهم، فنحن بخير إن شاء الله.

وليفعل اليهود، ولتفعل إسرائيل ما تشاء، ولتهدّد ما تهدّد، فإنّها لن تقف ذلك الفدائيّ الذي لا يُبالي ما يصيبه في سبيل الله:

ولست أبالي حين أُقتل مسلماً على أيّ جنب كان في الله مصرعي

اللهمّ انصر الإسلام وأعزّ المسلمين.

اللّهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السّفلى.

اللّهمّ انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين، وفي لبنان، وفي

كشمير، وفي البوسنة والهرسك،ه وفي كلّ مكان من أرض الإسلام.

اللّهم عليك باليهود الغادرين، اللّهم عليك بالصربيين الحاقدين، اللّهم عليك بالوثنيّين المتعصبين، اللّهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللّهم رُدّ عنّا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين، اللّهم أنزل عليك بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين، اللّهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر.

اللّهم أيد إخوانا المضطهدين في سبيلك، اللّهم أمدّهم بملأ من جندك، وأيدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يُضام.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام.

اللّهم ارفع مقتك وغضبك عنّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا: اللّهم آمين.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب ٥٦].

اللّهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمدّ وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *